﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ [الدُّخان: 19 - 21]

مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

مَن جعلَ الله كافيَه وناصرَه؛ أمدَّه سبحانه بمدَدِه؛ فلا يقدرُ مخلوقٌ أن يؤذيَه أو يُغويَه

لمّا أعلمَ الكليمُ عليه السلام قومَ فرعونَ بأنَّه مرسَلٌ مِن عند الله تعالى، ووصَّل لهم القولَ - على سواء - أمَرَهُم على إثر ذلك أن يُطلقوا سراحَ أسرَى بني إسرائيلَ وأن يكفّوا عن تعذيبهم وأذيَّتِهم؛ وأخبرَهُم بأنَّه مأمونٌ على ما يبلِّغهم به غيرُ متّهمٍ فيه؛ أمرَهُم ألّا يَطغَوا ويبغوا على ربّهم؛ فإنَّ استعبادَهُم لبني إسرائيلَ صورةٌ منَ العلوِّ والبغي على صاحب الحقِّ في هذه العبوديّة وهو الله ﷻ، وإنَّ ذلك أيضًا مؤدٍّ إلى هلاكهم، ولمّا كان منَ العجائب أن يَقتل منهم نفسًا ثمّ يخرجَ فارًّا منهم ثمَّ يأتي إليهم لا سيَّما إتيانًا يُقاهرُهم فيه في أمرٍ عظيم من غير أن يقع بينهم وبينه ما يمحو ما تقدَّم منه، نبَّههُم على أنَّ إتيانه هذا على هذا الحال آيةٌ أخرى دالَّةٌ على السُّلطان؛ ولمّا غلبَ على ظنِّهم أنَّه في قبضَتِهم؛ أخبرَهم تكذيبًا لهذا الظَّنِّ أنَّه محميٌّ من صاحب القوَّة العُظمى التي لا تُغالَب، ولا تُقهَر؛ ومن ثَمَّ لا يقدرُ أحدٌ أن يصل إليه بسوء، ولمّا كان الأصلُ في الرِّسالات البيانَ والبلاغ، وكانت عادتُهم الإيذاءَ لكلِّ مَن خرجَ عليهم؛ أعلمَهُم عليه السلام أنَّه جاء لبلاغهم ودعوتهم؛ فإنْ لم يُصدِّقوه؛ فليُخلّوا سبيله، ولا يتعرَّضوا له باللِّسان ولا باليد، وأن يجعلوا الأمرَ بينه وبينهم مسالمةً إلى أن يقضيَ الله أمرًا كان مفعولًا[1].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 659، والبقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 18، والمراغي، تفسير القرآن: 25/ 126 - 127، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 29/ 2969، والهرري، حدائق الروح والريحان: 26/ 356 - 357.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَعْلُواْ﴾: أصل (علو) يدلُّ على ارتفاع الشَّيء فوق شيءٍ تحته، وسُموُّه عليه[1]، والعلوُّ: ضدُّ السُّفل، وهو الارتفاع، وقد علا يعلو عُلوًّا، فهو عالٍ، وعَلِيَ يَعلَى علاءً، فهو عَلِيٌّ، و(عَلا) بالفتح في الأمكنة والأجسام أكثرُ، و(عَلِيَ) بالكسر في الشَّرف.

و"العُلوُّ للّه ﷻ عن كلِّ شيء، فهو أعلى وأعظمُ ممّا يُثنَى عليه"، و"العُلوُّ العظَمَة والتَّجبُّر"[2]، والعَلِيُّ: هو الرَّفيع القدر، والشَّريف؛ مِن (عَلِيَ)، وإذا وُصِف اللّه تعالى به في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج: 62]، وقولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ۝٣٤﴾ [النساء: 34]؛ فمعناه: يعلو أن يحيط به وصفُ الواصفين، بل عِلمُ العارفين؛ فهو العالي الذي ليس فوقه شيءٌ، وعلى ذلك يقال: (تَعالَى).

ومنه العُلوُّ بمعنى التَّكبُّر في الأرض، يقال: علا في الأرض علوًّا: تكبَّر وطغى، وعلوتُ الرَّجل: غلبتُهُ، وعلوتُه بالسَّيف: ضربتُهُ، وعلا بالأمر: اضطلع به واستقلَّ[3].

وقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ﴾؛ أي: لا تتجبَّروا[4].

2) ﴿عُذْتُ﴾: أصل (عوذ) يدلُّ على الالتجاء إلى الشَّيء[5]، فالعَوذُ الالتجاءُ إلى الغير والاعتصامُ به والتَّعلُّقُ ثقةً به، يقال: عاذ فلانٌ بفلان عَوْذًا وعِياذًا ومَعاذًا، وهو عياذُه؛ أي: مَلْجَؤُه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾، وأعذتُه باللّه أُعيذه، وعوَّذته به بمعنًى؛ أي قلت: أُعيذكَ بكلماتِ اللّه وأسمائِه من كلِّ شرٍّ وكلِّ داء[6].

ومعاذَ اللّه؛ أي: أعوذ باللّه معاذًا، فيكون المعنى نلتجئ إليه، ونستنصر به أن نفعل ذلك، فإنَّه سوء نتحاشى من تعاطيه، والمَعاذ أيضًا: ما يُعاذ به، واللّه جلَّ وعزَّ مَعاذُ مَن عاذ به، وملجأ من لجأ إليه[7].

---

(1) ابن فارس، المقاييس، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (علو).
(2) الخليل، العين: (علو).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (علو).
(4) البغوي، معالم التنزيل: 7/ 231.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عوذ).
(6) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (عوذ).
(7) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (عوذ).

والعوذة: ما يُعاذ به من الشَّيء، ومنه قيل للتَّميمة والرُّقية: عوذة، وعوَّذه: إذا وقاه[1].

3) ﴿تَرْجُمُونِ﴾: أصل (رجم) يدلُّ على الرَّمْي بالحجارة[2]، يقال: رجمته أرجُمُه رَجمًا فهو رجيمٌ ومرجوم؛ أي: رميتُه، والرِّجام: الحجارة الضِّخام، والرَّجم: الرَّمْيُ بالرِّجام والحجارة، ويقال على القتل أيضًا؛ "وإنَّما قيل للقتل رجمٌ؛ لأنَّهم كانوا إذا قتلوا رجلًا رَموَه بالحجارة حتى يقتلوه، ثم قيل: لكلِّ قتل رجمٌ"[3].

ويُستعار الرَّجم للرَّمْي بالظَّنِّ والتَّوهُّم، وللشَّتم والطَّرد، وممّا جاء بمعنى الشَّتم قوله تعالى: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ [مريم: 46]؛ أي: (لأقولنَّ فيك ما تكره، وأسُبَّنَّك وأشتمنَّك)، والشَّيطان الرَّجيم: بمعنى المرجوم، وهو الملعون المُبعَد، أي: المطرود عنِ الخيرات، وعن منازل الملأ الأعلى[4].

4) ﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾: أصل (عزل) يدلُّ على تنحيةٍ وإمالة[5]، الاعتزال: تجنُّب الشَّيء عُمالةً كانَت أو براءةً أو غيرَهما، بالبدن كان ذلك أو بالقلب[6]، وعزلَ الشَّيءَ يعزله عزلًا، وعزَّله فاعتزَل، وانعزَل، وتعزَّل: نحّاه جانبًا فتنحَّى، واعتزلتُ القومَ: فارقتُهم وتنحَّيتُ عنهم[7]، وكنتُ بمعزلٍ عن كذا؛ أي: كنتُ بموضعِ عُزلةٍ منه، والعُزلة: الانعزالُ نفسُه[8]، ومعنى: ﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾؛ أي: تَنَحَّوْا واتركوني[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يواصل السِّياقُ القرآنيُّ في هذه الآيات حديثَ نبيِّ اللّه موسى عليه السلام مع قومه أثناء دعوتِه لهم وأداءِ رسالته إليهم؛ فيُخبرُ أنَّه عليه السلام قد حضَّهم على ألّا يتجبَّروا على اللّه سبحانه بتركِ طاعتِه؛ لأنَّه قد جاءهم بحجَّةٍ ظاهرةٍ وبرهانٍ ساطعٍ على صحَّة ما يدعوهم إليه،

(1) الراغب، المفردات: (عوذ).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رجم).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (رجم).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (رجم).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عزل).
(6) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (عزل).
(7) الأزهري، تهذيب اللغة: (عزل).
(8) ابن منظور، لسان العرب: (عزل).
(9) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (عزل).

التَّكبُّرُ على الله مذمومٌ، والاعتصامُ به محمودٌ، والتَّعرُّض للأنبياء ممقوت

إلّا أنَّهم توعَّدوهُ بالقتل، فاعتصم بالله خالقِه وخالقِهم من أنْ يتمكَّنوا من قتْلِه رَميًا بالحجارة أو إيذاءً باليد واللِّسان، مبيِّنًا أنَّهم إنْ لم يُصدِّقوه ويُقِرّوا بِنُبوَّتِه فليس عليهم إلّا أن يُخَلّوا بينه وبين تبليغ رسالتِه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الواو في ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾:

الواو عاطفةٌ، حيث عطفت قولَه تعالى: ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾، على قوله: ﴿أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ﴾ [الدخان: 18] فعطَفت النَّهيَ عنِ الاستكبار عن إجابة أمرِ الله أنفةً على طلبِ موسى ﷺ تسليمَ بني إسرائيلَ[2].

الواو عاطفةٌ؛ لبيان مدى الاغترار، والعلوّ على الحقِّ بالتَّكذيب والإنكار

وأوثِرَ الوصلُ على الفصل لاتِّحاد الجملتَين الكريمتَين في الإنشائيَّة؛ فالأولى منهما أمرٌ، والثّانية نهيٌ، وليس ثمَّ ما يقتضي الفصلَ بينهما.

نكتةُ التَّعبير بالمصدر المؤوَّل دون الصَّريح:

المصدرُ المؤوَّل مشتملٌ على الزَّمان، مع النَّهي عنِ العلوّ والطُّغيان

يفيد المصدرُ المؤوَّل الدَّلالةَ على الزَّمن لاشتماله على الفعل، وهو مع (أنْ) يدلُّ على مجرَّد معنى الحدثِ دون احتمالٍ زائدٍ عليه؛ ففي (أنْ) تحصينٌ مِنَ الإشكال، وتخليصٌ له من شوائب الإجمالِ، بخلاف المصدرِ الصَّريح، فليس فيه شيءٌ من هذا[3].

وعلى احتمال كونِ (أن) هنا مصدريَّةً؛ فقد عُبِّر بالمصدر المؤوَّل دون الصَّريح في قوله: ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ للإيماء إلى ما يقتضيه ذِكرُ الفعل المضارع مِنَ الدَّلالة على التَّجدُّد والاستمرار؛ فكأنَّه قال: انتَهوا عن هذا البغي على ربِّ العالمين سبحانه؛ في جَعْلِ عبوديَّةِ بني إسرائيلَ لكم من دونِ الله، ولا تعودوا لمثلِه أبدًا؛ فليس الزَّجرُ هنا مرتبطًا بزمنِ التَّكلُّم وإنَّما لمُطلق الزَّمن.

(1) البغوي، معالم التنزيل: 7/ 231، والهرري، الحدائق: 26/ 356 - 357.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 296.
(3) السامرائي، معاني النحو: 3/ 147 - 149.

دلالةُ (أن) المخفّفة ومعناها:

مِن لوازم العبوديَّة الخضوعُ لله تعالى والاستسلامُ له

في قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: (أنْ) مخفَّفةٌ مِنَ الثَّقيلة، واسمُها ضميرُ الشَّأن محذوفٌ، والتَّقدير: "أنَّه"، وفي (أنْ) هاهنا وجهان جائزان؛ **أحدُهما:** أنْ تكون (أنْ) مصدريَّةً، فهي ومدخولُها في تأويل مصدر في محلِّ جرٍّ بحرف جرٍّ محذوفٍ، والمعنى على التَّقدير: جئتكم آمرًا بتسليم بني إسرائيلَ، وبكفِّكم عنِ العلوِّ على الله تعالى[1]، فكأنَّه جعلَ الأمرَ والنَّهيَ شيئينِ مُتلازِمَينِ هنا، لا يُفارقُ أحدُهما صاحبَه، وهذا دليلٌ على أهميَّة هذا البلاغ، وأمانةِ هذا المبلِّغ عليه السلام.

والوجه الآخر: أن تكون (أنْ) حرفَ تفسير؛ لأنَّها مسبوقةٌ بجملةٍ فيها معنى القول دون حروفِه، وهي جملة: (جاءَهُمْ)، وعليه فالجملة مفسِّرةٌ لا محلَّ لها[2]، والمعنى على هذا التَّقدير: جاءَهُم برسالةٍ أو بقولٍ هو: لا تَعلوا على الله، فهذا "مِن مضامينِ هذه الرِّسالة، ومِن مَقولِ القولِ الذي واجَهَ به موسى عليه السلام القومَ، وهو أنَّه قد جاءَهُم بسلطانٍ مبين؛ أي: سلطانٌ ظاهرٌ، يعلو كلَّ سلطان"[3].

وفي هذا التَّوجيه إلماحٌ لِما تقتضيه هذه الرِّسالةُ مِن وجود المُرسِل، وتوجيهِ الرَّسول، ونصِّ الرِّسالة، وقصدِ القوم المبلَّغين؛ ممّا ينفي ألوهيَّةَ فرعون المدَّعاةَ.

وقد أدَّى إدغامُ (أنْ) في حرف النَّهي إلى تشديد اللّام، وهذا الصَّوتُ المشدَّدُ يوافق معنى التَّحذير المؤكَّدِ مِنَ التَّعالي على أمر الله تعالى بالكفر والعصيان.

---

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 120.

(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 124، والدرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 8/ 668.

(3) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 13/ 195.

الغرضُ منَ النَّهي في ﴿لَّا تَعۡلُواْ﴾:

يـدور وعـظُ الـدّاعـيـة بين نُصحٍ وإرشاد، وترغيبٍ وترهيب

(لا) في قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ هي النّاهيةُ، والغرَضُ من هذا النَّهي هو النُّصحُ والإرشاد، بتحذيرِ القوم مِنَ الاستعلاء على الإيمان بالكفر، وهذا منَ الأغراضِ المقصودةِ للدّاعية؛ فهو بين نُصحٍ وتحذيرٍ، وترغيبٍ وترهيبٍ.

معنى ﴿عَلَى﴾ ودلالتُها في ﴿عَلَى ٱللَّهِۖ﴾:

مَن طلبَ العلوَّ على مَولاه؛ أخسَأهُ المولى وأرداه

الأصلُ في معنى (على) أنَّه موضوعٌ للدَّلالة على الاستعلاء حقيقيًّا كان أم مجازيًّا، ولفظُها يدلُّ على ذلك؛ فهي منَ العُلوِّ[1]؛ ومعناها في قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾: لا تَطلبوا العلوَّ على اللّه؛ أي: بإنكارِ ربوبيَّتِه، ودعوى الرُّبوبيَّةِ لأنفسِكم، وتكذيبِ رسوله، وغضبِ عباده[2].

بلاغةُ الإيجاز بحذفِ المضاف:

تعظيمُ أمرِ الله ربِّ العالمين، والتَّشنيعُ على الجاحدين المتكبِّرين

قولُه: ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾؛ أي: لا تعلوا على أمرِهِ أو على رسوله، فهو على تقدير مضافٍ محذوف.

فلمّا كان الاعتلاءُ على أمْرِ اللّه وأمْرِ رسولِهِ ﷺ ترفيعًا لأنفُسِهم على واجبِ امتثالِ ربِّهم - جُعلوا في ذلك كأنَّهم يتعالَوْن على اللّه[3].

وفي حذف هذا المضاف ومباشرةِ المضاف إليه لحرف الجرِّ زيادةُ تشنيعٍ على المخاطَبين؛ ففرقٌ كبيرٌ بين (لا تعلوا على أمر اللّه)، و(لا تعلوا على اللّه)، وفيه كذلك تعظيمٌ لأمر اللّه تعالى، وأنَّ العلوَّ على أمرِ اللّهِ علوٌّ على اللّه سبحانه.

نكتةُ التَّعبير بالألوهيَّة دونَ الرُّبوبيَّة في ﴿عَلَى ٱللَّهِۖ﴾:

الاسمُ الأعلى والأسمَى والأجلّ: ﴿ٱللَّهِۖ﴾ عَلَمٌ على الذّات الإلهيَّة؛

(1) سيبويه، الكتاب: 4/ 230، والزمخشري، المفصل، ص: 384، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 497، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 47.
(2) النَّسفيّ، التَّيسير في التَّفسير: 13/ 325.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 296.

فهو يدلُّ على كلِّ أسماءِ الله ﷻ وصفاتِه، وقد أوثرَ التَّعبيرُ بعنوان الألوهيَّة دون الرُّبوبيَّة في قوله: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّ سياق الآيات فيه ذكرٌ للعبوديَّة في ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ [الدخان: 18]، وفيه نهيٌ عنِ الاستعلاء على أمرِ الله تعالى، وذِكرٌ للرِّسالة؛ وكلُّ هذا مِن لوازم الألوهيَّة.

التَّعبيرُ بالألوهيَّة تذكيرٌ بمَن له الاستعلاءُ، ومن له تخضع البريَّةُ

أمّا الرُّبوبيَّة فمِن لوازمها: الخَلْقُ، والرِّزقُ، والتَّدبيرُ، والعنايةُ، والرِّعايةُ، والتَّربيةُ، والإحسانُ[1]؛ فلذلك لم يُعبَّر بالرُّبوبيَّة؛ لأنَّ التَّعبيرَ بها يُناسبُ مقامَ النِّعمةِ والمنَّةِ والحفظ؛ والمقامُ مقامُ إنذارٍ وتحذير.

علَّةُ فصلِ قوله: ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُمْ﴾:

فُصل قوله: ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ عن سابقه لأنَّه تعليلٌ للنَّهي؛ أي آتيكم بحجَّةٍ واضحةٍ لا سبيلَ إلى إنكارها، أو موضِّحةٍ صِدْقَ دَعْواي[2].

الفصلُ للتَّعليل؛ لبيان سطوةِ التَّنزيل

ويحتمل أن يكون استئنافًا بيانيًّا ناشئًا عن سؤالٍ مقدَّر؛ فكأنَّ القومَ قالوا لموسى عليه السلام: لماذا تطلبُ إلينا ما تطلبُ؟ ولماذا نصدِّقك؟ فالجوابُ: ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾، فهذا أمرٌ جديرٌ بأن يجعلكم مُذعِنينَ متَّبعين.

نكتةُ توكيدِ الجملة بـ(إنَّ):

جاء التّوكيد بـ(إنَّ) في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ لمواجهة إنكارِ القوم الذين كفروا بما جاءهم به موسى عليه السلام، بل إنَّهم هدَّدوه وتوعَّدوه؛ ولذا أخبرهم مؤكِّدًا أنَّه قد جاءهم بأمرٍ باهرٍ عظيم لا يمكنهم إنكارُه ولا الاستعلاءُ عليه؛ فمِن ثمَّ لا يمكن الاستعلاءُ على الله سبحانه.

التّوكيدُ؛ للدَّعم والتّأييد

(1) أحمد الزاملي، الآيات القرآنية الواردة في الرد على البدع المتقابلة - دراسة عقدية: 1/ 194.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 120، والنَّسفيّ، التَّيسير في التَّفسير: 13/ 325.

توجيهُ ﴿ءَاتِيكُم﴾ بين الاسميَّة والفعليَّة:

التَّعبيرُ بالاشتقاق؛ لإفادة المجيء بالحُجَّة في الحال

قولُه سبحانه: ﴿ءَاتِيكُم﴾ يجوزُ أن يكون مضارعًا، ويجوزُ أن يكون اسمَ فاعل، وكلاهما مشتقٌّ منَ الإتيان، غيرَ أنَّ في التَّعبير بالفعل معنى التَّجدُّد والاستمرار، كأنَّه قال لهم: كلَّما أحدَثتُم اعتراضًا وجدَّدتُم تكذيبًا فإنَّني سآتيكُم بسلطانٍ مبين، وهذا كما قال ربُّنا ﷻ في حقِّ نبيِّنا محمَّد ﷺ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: 33].

وفي التَّعبير عنِ السُّلطانِ الذي يَلقَى به القومَ بفعلِ المُضارَعة الذي يُفيد الاستقبالَ: ﴿ءَاتِيكُم﴾ إشارةٌ إلى أنَّ هذا السُّلطانَ الذي معه لم يرَهُ القومُ بعدُ، وأنَّهم إذا شاؤوا أن يَرَوْه أراهُم موسى عليه السلام إيّاه[1].

أمّا التَّعبيرُ باسم الفاعل ففيه معنى الثُّبوت والدَّوام؛ أي أنَّ حالي معكم أنَّني آتٍ إليكم بسلطان مبين، فأنا رسولٌ مِن ربِّ العالمين. "وعلى الاحتمالين فهو مقتضٍ للإتيان بالحُجَّة في الحال"[2].

سرُّ التَّعبير بالإتيان هنا وبالمجيء قبله:

الإتيانُ أنسَبُ لِما أُريدَ له مِن إظهارِ الآياتِ والعِبَر؛ ففيه مجيءٌ بسهولةٍ ويُسْر

الإتيانُ: مجيءٌ بسهولة، ومنه قيلَ للسَّيلِ المارِّ على وجهه: أتِيٌّ وأتاوِيٌّ[3]، والمجيءُ كالإتيان، لكنَّ المجيءَ أعمُّ؛ لأنَّ الإتيانَ مجيءٌ بسهولةٍ، والإتيانُ قد يُقالُ باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصولُ، والمجيءُ يقالُ اعتبارًا بالحصول، ويقال (جاء) في الأعيان والمعاني، ولِما يكون مجيئُه بذاتِه وبأمره، ولَمن قصد مكانًا أو عملًا أو زمانًا، قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾ [الفرقان: 4]؛ أي: قصَدوا الكلامَ وتعمَّدوه، فاستُعمل فيه المجيءُ كما استُعمِل فيه القصد[4].

(1) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني: 13/ 195.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 297.
(3) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، والفيروزآبادي، البصائر: (أتى).
(4) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، والفيروزآبادي، البصائر: (جاء).

فممّا سبق يتبيَّن أنّ المجيء فيه معنى القصدِ، والحصولِ، والظُّهورِ، وفيه كذلك معنى الانحدار إلى حيِّزٍ أو تجوُّفٍ سفليٍّ مهيَّأٍ جامعٍ؛ كالماءِ في الهبطةِ والحُفرة[1].

وبناءً على ما سبقَ فإنَّ التَّعبيرَ بالمجيء في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الدخان: 17] هو الأنسبُ في سياقه؛ لِما فيه مِن معاني القصدِ والحصولِ والظُّهور؛ فقد قُصِد إرسالُ موسى عليه السلام إلى قومه، وظهورُ ذلك وحصولُه بمُثولِهِ عليه السلام بين ظَهرانيهم، وقد أنذرَهُم على سواء.

أمّا التَّعبيرُ بالإتيان في ﴿إِنِّي ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ فهو الأنسَبُ في مقامه؛ لأنَّ الحُجَّة التي أتى بها موسى عليه السلام لم يكن شاقًّا عليه أن يُظهرَها لهم، ولا أن يتكلَّف أعباءَ حملِها ونقلِها، بل حصل ذلك بسهولةٍ ويُسْر، فما هو إلّا أن ألقَى عصاه ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الشعراء: 32 - 33].

معنى الباء ودلالتُها في ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾:

الباء للإلصاق المجازي؛ لإفادة شدَّةِ الارتباط

الأصلُ في معنى (الباء) أنَّه موضوع للدَّلالة على الإلصاق، حقيقيًّا كان أم مجازيًّا[2]، وهو هنا في قوله: ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ يُفيد معنى الإلصاق المجازيِّ الذي هو بمعنى المصاحَبَة؛ أي: معي أمرٌ باهرٌ قاهرٌ مِن عند خالقكم ومالككم، آيةٌ بيِّنةٌ تلازمني ملازمةَ الصّاحب لصاحبه، أو كالشَّيء الملتصِق بما التصَق به، وهذا يفيد قوَّةَ الحُجَّة، وظهورَ البرهان.

نكتةُ تنكير (سُلْطانٍ)، ودلالةُ وصْفِهِ بـ ﴿مُّبِينٍ﴾:

آياتُ الله تعالى بلغَ بها الإنذار، وحصلَ بها الإعذار

أوثر تنكيرُ (سُلْطانٍ) في قوله تعالى: ﴿إِنِّي ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (جاء).

(2) سيبويه، الكتاب: 4/ 217، والزمخشري، المفصل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 474، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 19.

مُّبِينِ﴾ لإفادة التَّعظيم، وحُقَّ لتسع آياتٍ منها العصا واليدُ والطّوفانُ والجرادُ والقُمَّلُ والضَّفادعُ والدَّمُ أن تكون أمرًا عظيمًا.

والسُّلطانُ مِن أسماء الحجَّة؛ فالحجَّةُ تُلجئ المحجوجَ إلى الإقرار لمن يُحاجِجُه؛ فهي كالمتسلِّط على نفسه، والمعجزةُ: حجَّةٌ عظيمة؛ ولذلك وُصفَ السُّلطانُ بـ﴿مُّبِينِ﴾؛ أي: واضحُ الدِّلالة بيِّنٌ لا ريبَ فيه[1]، قد بلغ به الإنذارُ، وحصلَ به الإعذارُ.

علَّةُ وصلِ قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي﴾:

جملة ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي﴾ معطوفةٌ على جملة ﴿أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ﴾ [الدخان: 18]، وقد أوثِرَ الوصلُ على الفصل؛ لأنَّ قوله: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ "هو أيضًا مِن مَقول القول مِن موسى ﷺ إلى فرعونَ ومَلئِه"[2]، فمضمونُ هذه الجملة هو ممّا شمَلَهُ كلامُ موسى ﷺ حين بلَّغهم رسالتَه، فكان داخلًا في مجمل معنى قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝١٧﴾ [الدخان: 17] الذي فُسِّر بما بعد (أنْ) التَّفسيريَّةِ، وليس ثمَّ ما يدعو إلى الفصل.

أوثِرَ الوصلُ لاتِّصال الكلام؛ فهو ضمْنَ ما جاء به الكليمُ مِنَ البيان والإعلام

نكتةُ التَّعبيرِ بالجملة الاسميَّة:

جاء التَّعبيرُ بالجملة الاسميَّة في قوله: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي﴾ لإفادة الثُّبوت؛ فإنَّه ﷺ لا يَعوذُ ولا يَلوذُ بأحدٍ سوى خالقِه ومولاه عزَّ شأنُه وتبارك في عُلاه.

التَّعبيرُ بالاسميَّة لإفادة الثُّبوت، ودوامِ التَّعوُّذ بذي الملكوت

والمرادُ بهذا: تحذيرُهم مِن أنْ يرجموه؛ لأنَّ معنى ﴿عُذْتُ بِرَبِّي﴾؛ أي: جعلتُ ربِّي عوذًا؛ أي: ملجأً[3].

نكتةُ توكيدِ جملة ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي﴾ بـ(إنَّ):

جاء التَّوكيدُ في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي﴾ بـ(إنَّ)؛ لأنَّه منَ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 297.
(2) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 13/ 196.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 297.

العجائب أن يَقتل نبيُّ اللّه موسى ﷺ مِن قومه نفسًا، ثمَّ يخرجَ فارًّا منهم، ثمَّ يأتيَ إليهم إتيانًا يُقاهِرُهم فيه في أمرٍ عظيم مِن غير أن يقع بينهم وبينه ما يمحو ما تقدَّم منه؛ لذلك قال لهم - مؤكِّدًا تكذيبًا لظنِّهم أنَّه في قبضتهم -: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي﴾[1].

الخطابُ بالتَّوكيد؛ للمبالغة في تحذير المتكبِّر العنيد

فلمّا دعاهم موسى ﷺ إلى ما أرسله اللّه تعالى به، هدَّدوه ظنًّا منهم أنَّهم قادرون عليه؛ فعبَّر بالتَّوكيد للمبالغةِ في تحذيرِ كلِّ متكبِّرٍ عنيد؛ فإنَّ مَن تعوَّذ به موسى ﷺ هو ربُّه الذي أحسنَ إليه ورعاهُ وأدَّبه وأسبغَ عليه نِعمَه، وهو أيضًا ربُّهم الذي أحسنَ إليهم بأن أرسلَ إليهم مَن يَستنقذُهم مِنَ العذاب.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمُسند الفعليِّ ومجيئِه ماضيًا:

أوثرَ التَّعبيرُ بالمسنَد الفعليِّ ﴿عُذْتُ﴾ في قوله: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ لإفادة تقويةِ الحكم وتوكيدِه.

أفاد المسندُ الفعليُّ تقويةَ الحكم وتوكيدَه، وأفاد المضيُّ تحقيقَهُ

والسِّرُّ في إفادة التَّعبير بالمسنَد الفعليِّ تقويةَ الحُكم هو: تكرُّرُ الإسناد؛ لأنَّ الفعلَ فيه قد أُسنِد مرَّتين: مرَّةً إلى المبتدأ، ومرَّةً إلى ضميره المُستتر في الفعل، فهو بمثابة التَّعبير بجملةٍ فعليَّةٍ مكرَّرةٍ، فيقوَى الحكمُ ويثبتُ في الذِّهن[2].

وتجري هذه الصِّياغةُ في المقامات التي تدعو إلى التَّوكيد والتَّقرير؛ مثل مواجهةِ الشَّكِّ في نفس المخاطَب، والرَّغبةِ في إقناعه، ومثل ردِّ الدَّعوى التي يدَّعيها المخاطَبُ، وغيرِ ذلك مِن مقامات التَّقوية والتَّقرير؛ وهي كثيرة[3].

ولمّا كان بطشُ فرعونَ وجنودِه - بموسى ﷺ ومَن معه - أمرًا متوقَّعًا ناسبَهُ أن يواجَه بالتَّأكيد بالالتجاء إلى ربِّ العالمين ذي الجلالِ القويِّ المتين.

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 6/ 253.
(2) حسن عبد الرازق، البلاغة الصافية، ص: 125، وحسن طبل، علم المعاني، ص: 125.
(3) محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص: 220.

وأوثِرَ التَّعبيرُ بالماضي لإفادةِ تحقُّق وقوعِ التجاءِ موسى ﷺ إلى ربِّه تعالى والتَّعوُّذِ به حتَّى مِن قبل التَّبليغ، فقد جاءَهُم نبيُّ الله موسى ﷺ مسلَّحًا بهذا التَّعوُّذ الضّارع باللهِ القويِّ العظيم الواسع.

وهذا يحملُ في طيِّه إشارةً إلى مدى قوَّةِ فرعونَ وجندِه، وسَعةِ بطشِهم، ومدَى قوَّةِ إيمانِ موسى ﷺ واستجابتِه لأمر ربِّه ﷻ.

معنى الباء ودلالتُها في ﴿عُذْتُ بِرَبِّي﴾:

الباءُ للاستعانة والإلصاق؛ لإفادة شدَّةِ التّعلُّق بالعظيم الخلّاق

(الباء) حرفٌ موضوعٌ للدَّلالة على الإلصاق، حقيقيًّا كان أم مجازيًّا؛ هذا هو الأصلُ فيه[1]، وهو هنا في قوله ﴿بِرَبِّي﴾ بمعنى الإلصاق المجازيِّ الذي يُفيد الاستعانةَ؛ والمعنى أنَّهم لمّا هدَّدوهُ أعلمَهُم أنَّه مستعينٌ ومُحْتَمٍ بصاحبِ القوَّة التي لا قِبَلَ لهم بها.

كما أنَّ الباء هنا مُشعرةٌ بشدَّة الثِّقة، وشدَّةِ تعلُّقِ الكليم بربِّه جلَّ في علاه؛ فإنْ كانَ اللّه حمَى موسى ﷺ وهو في المَهد، وربّاهُ في حِجرِ عَدوِّه، فكيفَ لا يحميهِ بعد أن جعلَهُ رسولًا؟!

بلاغةُ الاستعارة في ﴿عُذْتُ بِرَبِّي﴾:

الاعتصامُ باللهِ حَصانةٌ وصيانةٌ؛ وإبانةٌ لأصولِ الدِّيانة

قولُه: ﴿عُذْتُ بِرَبِّي﴾؛ أي: جعلتُ ربِّي عَوذًا؛ أي: ملجأً. "والكلامُ على الاستعارة بتشبيه التَّذكير بخوفِ اللّه الذي يمنعُهم مِنَ الاعتداء عليه بالالتجاء إلى حصنٍ أو معقلٍ، بجامع السَّلامة مِنَ الاعتداء، ومثلُ هذا التَّركيب ممّا جرى مجرى المَثَل، ومنه قولُه تعالى في سورة مريم: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ [مريم: 18]"[2].

وقد أفادت هذه الاستعارةُ بظلالها الدَّلاليَّة معنى كونِ اللّه تعالى ملجأً عظيمًا يحتمي به كلُّ خائف مِن بطشِ طاغيةٍ، فهي إذًا دعوةٌ للمخاطَبين مِن آل فرعونَ وجندِه أن يَتركوهُ، ولا يخافوا بطشَهُ؛ فاللّه

(1) سيبويه، الكتاب: 4/ 217، والزمخشري، المفصل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 474، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 19.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 297.

تعالى قادرٌ على حمايتهم والذَّبِّ عنهم وإهلاكِ عدوِّهم؛ فلْيؤمنوا باللّه سبحانه فهو ﷻ كافيهِم.

نكتةُ عطفِ (رَبِّكُمْ) على (رَبِّي):

عطف (رَبِّكُمْ) على (رَبِّي)، لإفادة التَّشريك في المربوبيَّة، ففي قوله: ﴿وَرَبِّكُمْ﴾ "مع أنَّهم لا يعترفون بربِّ موسى ﷺ ربًّا لهم؛ إلزامٌ لهم بالاعتراف بربِّ موسى ﷺ، وإن لم يَقبلوهُ ربًّا لهم، فذلك هو الحقُّ الذي يقال، سواء قَبِلهُ القومُ أم رفضوه"[1].

العطفُ للتَّشريك في المربوبيَّة؛ والارعواء عنِ الصِّفة الخسيسة الدَّنيَّة

وفيه أيضًا ردٌّ على ادِّعاء فرعونَ الرُّبوبيَّةَ، وإبطالٌ لتلك الدَّعوى الآثمةِ المجرمةِ، وتذكيرٌ للقوم بأنَّ هذا الذي تخافون منه لا يملك لكم ضرًّا ولا نفعًا؛ وإن اعتصمتُم بربِّكم الحقِّ كما اعتصمتُ به أنا فإنَّه كافيكم.

كما أنَّ هذا التَّعبير "أدخلُ في ارعوائِهم مِن رجْمِه حين يتذكَّرون أنَّه استعصمَ باللّه الذي يشتركونَ في مربوبيَّته، وأنَّهم لا يخرجونَ عن قدرته"[2].

سرُّ التَّعبير بالرُّبوبيَّة بعد التَّعبير بالألوهيَّة:

من لوازم الرُّبوبيَّة: الخلْقُ والرِّزق والتَّدبير، والعنايةُ والرِّعاية، والتَّربيةُ، والإحسانُ[3]، ومِن لوازم الألوهيَّة: العلوُّ والتَّفرُّدُ والسَّمعُ والبصرُ والعِلمُ المطلقُ، والقُدرةُ المطلقةُ والإرسالُ والحسابُ والجزاء ... إلخ.

أوثرَ التَّعبيرُ بالرُّبوبيَّة لإظهار الافتقار، والاعترافِ بالنِّعمة بالإقرار

وقد أوثِر التَّعبيرُ بعنوان الألوهيَّة في قوله: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ لأنَّ المقام مقامُ تذكيرٍ بالتَّوحيد وعدم الاستعلاء على مَن أرسل رسولَه بالسُّلطان المبين.

(1) عبد الكريم الخطيب التفسير القرآني للقرآن: 13/ 196.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 297.
(3) أحمد الزاملي، الآيات القرآنية الواردة في الرد على البدع المتقابلة - دراسة عقدية: 1/ 194.

وأوثرَ التَّعبيرُ بعنوان الرُّبوبيَّة في قوله: ﴿بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾؛ لأنَّ المقام مقامُ إقرارٍ بالنِّعمة، وافتقارٍ إلى الله لدفع النِّقمة، وتذكيرِ المخاطَبين بعظيم نعمةِ الله تعالى عليهم؛ فالمعنى: اعتصمتُ وامتنعتُ ﴿بِرَبِّي﴾ الذي ربّاني على ما اقتضاهُ لطفُهُ وإحسانُهُ إليَّ ﴿وَرَبِّكُمْ﴾ الذي أعاذني مِن تكبُّركم وقوَّةِ مُكنتِكُم[1]؛ فإنَّه "الله سبحانه هو الذي ربّاني، وإلى درجات الخير رقّاني، ومِن الآفات وقاني، وأعطاني نِعَمًا لا حَدَّ لها ولا حَصر، فلمّا كان المولى ليس إلّا اللّهُ وجَبَ أن لا يَرجع العاقلُ في دفعِ كلِّ الآفات إلّا إلى حفظِ الله تعالى"[2]، فجاء في كلِّ مقامٍ بما يُناسبُه؛ في بلاغةٍ وبراعةٍ وجمال.

نكتةُ التَّعبير بالمصدر المؤوَّل ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾:

رعايةُ الله لا تنقطعُ عن عباده، وحفظُه محيطٌ بأوليائه

عُبِّر بالمصدر المؤوَّل دون الصَّريح في قوله: ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ للإيماء إلى ما يقتضيهِ ذِكرُ الفعل المضارع مِنَ الدَّلالة على التَّجدُّد والاستمرار، والإشارةِ إلى الحال والاستقبال، فكأنَّه عليه السلام لمّا توقَّع أن يُقابلَ القومُ دعوتَهُ المبارَكَةَ بالرَّجم؛ أعلنَ أنَّه قد تعوَّذ بالله تعالى، فجاء التَّعبيرُ بالمضارع مناسبًا لِما توقَّعهُ موسى عليه السلام مِن بطشِهم به في الحال أوِ الاستقبال، وكأنَّه قال: إنَّ حِفْظَ ربِّي تعالى لي يتجدَّدُ كلَّما حاولتُم في أيِّ وقت مِنَ الأوقات إلحاقَ أيِّ أذًى بي باليد أو باللِّسان أو بأيِّ شيءٍ آخرَ ممّا تؤذونَ به عِبادَ الله، وهذا ما لا يُؤدِّيه التَّعبيرُ بالمصدر الصَّريح.

سرُّ ذكرِ الرَّجم في قوله: ﴿تَرْجُمُونِ﴾:

ذُكرَ الرَّجمُ؛ لأنَّه كان عادتَهُم، ونوعَ عقوبتِهم

أصلُ الرَّجم: الرَّميُ بالحجارة، يُقال رُجِمَ فلانٌ، إذا ضُرِبَ بالحجارة، ثمَّ يُستعار ذلك لمعانٍ كالرَّمي بالظَّنِّ، والتَّوهُّم، وللشَّتم والطَّرد.

(1) الخطيب الشِّربيني، السِّراج المنير: 3/ 584.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 508.

وقيل للقتل: رَجْمٌ؛ لأنَّهم كانوا إذا قتلوا رجلًا رَمَوْه بالحجارة حتَّى يقتلوه[1].

والمقصود بالرَّجم هنا: الرَّميُ بالحجارة تِباعًا حتى يموتَ المرميُّ أو تُثخنَهُ الجراح، والقصد منه تحقيرُ المقتول؛ لأنَّهم كانوا يرمون بالحجارةِ مَن يطردونه، وإنَّما استعاذ موسى منه؛ لأنَّه عَلِمَ أنَّ عادتَهُم عقابُ مَن يخالفُ دينَهم بالقتل رميًا بالحجارة[2].

علَّةُ وصلِ قوله: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ﴾ بسابقه:

أوثِرَ الوصلُ لاتِّصال الكلام، واستدعاءِ ما يتطلَّبه المقام

وُصل قولُه: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ﴾ بسابقه لاتِّصاله به، وترتُّبِه عليه؛ فكأنَّه ﷺ لمّا دعاهم إلى التَّسليم لله تعالى، وتركِ الاستعلاء عليه سبحانه؛ ذكرَ الحالَين اللَّذين يمكن أن يقعا بعد هذه الدَّعوة.

"أي: لكم ثلاثُ مراتبَ: الإيمانُ بي وهو مقصودي منكم؛ فإنْ لم تحصل منكم هذه المرتبةُ فاعتزلوني؛ لا عليَّ ولا لي، فاكفوني شرَّكم، فلم تحصلْ منهم المرتبةُ الأولى ولا الثّانيةُ، بل لم يزالوا متمرِّدين عاتينَ على الله، محاربينَ لنبيِّه موسى ﷺ، غيرَ ممكِّنين له من قومه بني إسرائيل؛ ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾؛ أي: قد أجرموا جُرمًا يوجبُ تعجيلَ العقوبة"[3].

فالحاصلُ أنَّ قوله: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ﴾ "هو أيضًا من مَقول القول مِن موسى ﷺ إلى فرعونَ وملئِه"[4]، وليس ثمَّ ما يدعو إلى الفصل؛ فلذا أوثِرَ الوصلُ.

نكتةُ بناءِ الآية على أسلوب الشَّرط:

الاعتزالُ نتيجةُ الإصرار على الكفر والانحلال

التَّعبيرُ بالجملة الشَّرطيَّة يفيد بناءَ الجواب على الشَّرط بناءَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (رجم).
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 297.
(3) السَّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 773.
(4) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 13/ 196.

المسبَّب على السَّبب والنَّتيجةِ على المقدِّمة، فقال: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ﴾، فكأنَّه ألزمَهُم باعتزاله وعدمِ التَّعرُّض له بالإيذاء إن هم أصرّوا على الكفر وعدمِ الإيمان، فجعل الاعتزالَ مشروطًا بعدم الإيمان به؛ أي أنَّه ﷺ أعلمَهُم أنَّ إيمانهُم هو مقصودُه الأوَّل، أمّا الاعتزالُ فهو أمرٌ يُلجأ إليه عند الاضطرار.

دلالةُ التَّعبير بحرف الشَّكّ في ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ﴾:

حـرفُ الـشّـكّ؛ لـلـتَّـعـبـيـر عـنِ الـــحـــال؛ وتـمـاديـهـم في الضَّلال

عُبِّر بأداة الشَّكِّ في ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ﴾ التي شأنُها أن تُستعمَل في الشَّرط غيرِ المتيقَّن، وهو المناسبُ هنا؛ "لأنَّ عدم الإيمان به بعد دلالة المعجزةِ على صدقِه مِن شأنِه أن يكون أمرًا مستبعَدًا، فيُفرَض عدمُه كما يُفرَض المحالُ"[1].

معنى اللّام ونكتةُ تعديةِ فعل الإيمان بها في ﴿تُؤْمِنُواْ لِي﴾:

عُـــدِّي فـعـلُ الإيـمـان بـاللّام عـلـى تـضـمـيـنِـهِ مـعـنـى الانـقـيـادِ والاستسلام

الأصلُ في معنى (اللّام) أنَّه موضوعٌ للدَّلالة على الاختصاص، إمّا بالملكيَّة وإمّا بغيرها[2]، وقد عُدِّي الفعلُ ﴿تُؤْمِنُواْ﴾ باللّام في قوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُواْ لِي﴾ - وحقُّه أن يتعدَّى بالباء - للإشارة إلى تضمين فعلِ الإيمان معنى الرُّكون والتَّسليم والانقياد[3]؛ أي: انقادوا لي واستسلموا لِما آمركم به مِنَ الإيمان بالله تعالى.

ومع ما تقدَّم مِن إفادة اللّام معنى الاختصاص يكون المرادُ: أنَّ موسى ﷺ أراد أن يكون استسلامُهم وانقيادُهم له على نحوٍ خاصٍّ، وهو اتِّباعُ النُّبوَّة، والانقيادُ لأحكام الشَّريعة التي أمر بها الله ربُّ العالمين، فأراد نبيُّ الله موسى ﷺ أن يختصَّه قومُه بهذا اللَّون مِنَ الانقياد، فلا ينقادوا لغيره ولو كان طاغيةً كفرعون!

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 298.
(2) سيبويه، الكتاب: 4/ 217، والزمخشري، المفصل، ص: 282، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 479، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 64.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 298.

معنى الفاءِ ودلالتُها في ﴿فَٱعۡتَزِلُونِ﴾:

الفاءُ للرَّبط بين جملتَي الشَّرط، ودلَّت على إرادة السُّرعة وانعدامِ المهلة

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡتَزِلُونِ﴾ رابطةٌ؛ حيث إنَّ جملة (اعتزلون) في محلِّ جزم جوابُ الشَّرط، واقترنت الجملةُ بالفاء وجوبًا لأنَّها طلبيَّةٌ[1]، وفي التَّعبير بالفاء معنى السُّرعة، وانعدامِ المهلة.

الغرضُ منَ الأمر ﴿فَٱعۡتَزِلُونِ﴾:

الأمـرُ للحثِّ والتَّنبيه

الغرضُ منَ الأمر في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡتَزِلُونِ﴾ الحثُّ والتَّنبيهُ لهم على فعلِ ذلك؛ فإنَّه لم يأمرهُم بالاعتزال ابتداءً بل خيَّرهم، وجعلَ الاعتزالَ نتيجةَ الإصرارِ على الكفر، وعدمِ التَّسليم بما جاءهم به، والمعنى: إن لم تؤمنوا بالمعجزة التي آتيكُم بها فلا ترجموني فإنِّي أعوذ باللّه مِن أن ترجموني، ولكن اعتزلوني فكونوا غيرَ موالين لي، وأكونُ مع قومي بني إسرائيل، فالتَّقدير: فاعتزلوني وأعتزلُكم؛ لأنَّ الاعتزال لا يتحقَّق إلّا مِن جانبَين[2].

نكتةُ حذفِ ياء المتكلِّم من ﴿تَرۡجُمُونِ﴾، و﴿فَٱعۡتَزِلُونِ﴾:

حُذفتِ الياء مِن لفظتَيْ: ﴿تَرۡجُمُونِ﴾، و﴿فَٱعۡتَزِلُونِ﴾؛ لأنَّها مِن ياءات الزَّوائد التي يجوز إثباتُها وحذفُها، ويتعيَّن حذفُها في الوقف عند جمهور القُرّاء، وحُذفت هنا مراعاةً لفاصلة الآيات.

بلاغةُ ترتيبِ الفواصل على ما جاءت عليه في الآيات:

قصُّ القرآن مِن بديع الإيجاز، ونهايةِ الإعجاز

جاء ترتيبُ فواصل هذا الخطابِ على مراعاةِ ما يبدو مِن فرعونَ وقومه عند إلقاء موسى ﷺ دعوتَه عليهم، فابتدأ بإبلاغ ما أُرسِل به إليهم، فآنسَ منهم التَّعجُّبَ والتَّردُّد فقال: ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٨﴾ [الدخان: 18]، فرأى منهم الصَّلَفَ والأنفة، فقال: ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ فلم يرعَووا، فقال: ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾، فلاحَت عليهم علاماتُ إضمار السّوء له، فقال: ﴿وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 125.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 298.

أَن تَرۡجُمُونِ ۝٢٠ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ﴾، فكان هذا التَّرتيبُ بين الجمل مُغنيًا عن ذِكر ما أجابوا به على أبدع إيجاز[1].

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

العُلوُّ والاستكبار:

جذرُ الاستكبار أصلٌ يدلُّ على خلافِ الصِّغَر[2]، والكِبْرُ والتَّكبُّرُ والاستكبارُ كلماتٌ تتقاربُ، فالكِبْر الحالةُ التي يتخصَّصُ بها الإنسانُ من إعجابِهِ بنفسه، وذلك أن يرى الإنسانُ نفسَه أكبرَ من غيره، وأعظَمُ التَّكبُّرِ التَّكبُّرُ على اللهِ بالامتناعِ من قَبول الحقِّ والإذعانِ له بالعبادة، والاستكبارُ المذمومُ هو أن يتشبَّع الإنسانُ فيُظهِرَ من نفسه ما ليس له[3].

جـذرُ الاستكبار أصـلٌ يـدلُّ على خـلافِ الصِّغَر، وجــذرُ الـعُـلـوِّ أصـلٌ يـدلُّ على الارتفاع

أمّا جذرُ العُلوِّ فأصلٌ يدلُّ على الارتفاع[4]، وهذا ما يدور حولَهُ معناه المحوريُّ[5]؛ فلمّا ارتفعوا عن طاعة الله ﷻ، وأرادوا بذلك ترفيعًا لأنفسهم، أوثِر في هذه الآية لفظُ العُلوِّ دون التَّكبُّر[6].

ولمّا كان استعبادُ عبادِ اللّه في صورة العلوِّ على مالك العباد، قال: ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ﴾ أي: لا تفعلوا باستعبادكم لبَني إسرائيل نبيِّ اللّه، ابنِ خليلِ اللّه فِعْلَ مَن يُريد العُلوَّ ﴿عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ الذي لهُ مَجامعُ العظمةِ ومَعاقدُ العِزَّة بنفوذِ الكلمةِ وجميعِ أوصافِ الكمال، فإنَّكم إنْ فعلتُم ذلك أخذَكُم بعزَّتِهِ ودمَّرَكم بعظمَته[7].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 298.
(2) ابن فارس، المقاييس: (كبر).
(3) الراغب، المفردات: (كبر).
(4) ابن فارس، المقاييس: (علو).
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (علو).
(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 135، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 296.
(7) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 21، و22.

التَّعوُّذُ والالتجاء والاستجارة:

التّعوُّذ جامعٌ لمعاني الاستجارة والالتجاء، ويزيدُ عليهما بمعنى التَّعلُّق

الاستجارة: هي طلبُ الحماية، واستُعمِلتِ الإجارة في معنى الحماية؛ للتَّلازم والتَّداخل بين الجارَين، ولِما كان عند العرب من حقوق الجيرَة؛ فكأنَّ "أجارَه" أصلُها قبِلَ جوارَه أو عدَّه جارًا له[1].

ويدور معنى الالتجاء في اللُّغة حول التّحصُّن بحِصنٍ قويٍّ شديد؛ ويقال: لجأتُ إلى فلانٍ والتجأتُ إليه، إذا استندتُ إليه واعتضدتُ به[2].

والتَّعوُّذ: هو الالتجاءُ إلى الغير والتَّعلُّقُ به[3]؛ فيفترق التَّعوُّذُ عنِ الالتجاء والاستجارة بما فيه من معنى التّعلُّق.

والمعنى المحوريُّ لجذر التَّعوُّذ: هو التصاقُ الشَّيء الغَضِّ بصُلبٍ يمنعُ أو يعوقُ تناولَه[4]؛ كالعوَّذ من اللَّحم: ما عاذ منَ اللَّحم بالعَظم ولزِمه[5]؛ فأُخِذ من هذا معنى احتماءِ الضَّعيف بالقويِّ والتَّعلُّق به[6].

ولمّا كان قلبُ موسى عليه السلام متعلِّقًا باللّه وحدَه، كان احتماؤه واعتصامُه به وحدَه، وكان التجاؤه إليه وحدَه، ولمّا كان العِياذُ باللّه جامعًا لذلك كلِّه، أوثِر في هذه الآية لفظُ العِياذ دون غيره.

الرَّجمُ والرَّمي:

الرَّجمُ أخصُّ منَ الرَّمي

الفرق بينهما أنَّ أصلَ الرَّجم هو الرَّميُ بالحِجارة، وهي الرِّجام[7]، ثُمَّ يُستعار للرَّمي بالظَّنِّ والتَّوهُّم وللشَّتمِ والطَّردِ والقتلِ أقبحَ قِتلة[8].

---

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (جور).
(2) ابن منظور، اللسان، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (لجأ).
(3) الراغب، المفردات: (عوذ).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عوذ).
(5) الجوهري، الصحاح، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عوذ).
(6) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عوذ).
(7) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، المقاييس، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (رجم).
(8) ابن فارس، المقاييس، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (رجم).

وإنَّما قيل للقتلِ: رَجمٌ؛ لأنَّهم كانوا إذا قتلوا رجلًا رَمَوه بالحِجارة حتى يقتلوه[1].

أمّا الرَّمي فجذرهُ أصلٌ واحدٌ وهو نَبذُ الشَّيء[2]، والرَّميُ يقال في الأعيان كالسَّهم والحجر، ويُقال في المقال كنايةً عنِ الشَّتمِ كالقذف[3].

وقد أوثِر في هذه الآية لفظُ الرَّجم دون الرَّمي؛ لأنَّ الرَّجمَ هو الرَّميُ بالحجارة تباعًا حتى يموت المرميُّ أو يُثخِنه الجراح، والقصدُ منه تحقيرُ المقتول لأنَّهم كانوا يَرمون بالحجارة مَن يطردونه[4]؛ فكان الرَّجمُ أخَصَّ منَ الرَّمي من هذا الوجه.

الاعتزالُ والتَّرك:

يدور معنى الاعتزال في اللُّغة حول تنحِّي الشَّيء عن موضعه إلى موضعٍ آخر[5].

مَن تركَ مكانًا فقد دخلَه قَبل تَركِه، ومَن اعتزلَه فرُبَّما دخلَه ورُبَّما لم يَدْخُلْه قبل اعتزالِه

أمّا التَّركُ فيدور معناهُ حول مفارقةِ الشَّيء ما كان يعلقُ به[6]؛ ولذلك يقال: للبيضة بعدَما يخرج منها الفَرْخ: التَّريكة[7].

وممّا سبق يتبيَّن فرقٌ دقيقٌ بين الاعتزال والتَّرك؛ وهو أنَّ التَّركَ يدلُّ على المفارقة بعد دخولٍ في الشَّيء، أمّا الاعتزال فقد يحدثُ من دون دخولٍ في الشَّيء؛ فإذا قيل: "تركَ المكان"، دلَّ ذلك على أنَّه دخلَ هذا المكانَ ثمَّ خرج منه، وإذا قيل: "اعتزلَ المكان"، احتُمِل أن يكون المعنى أنَّه تنحَّى عنِ المكان قبلَ أن يدخُله، ولا يُحتَمَل ذلك إذا

(1) ابن منظور، اللسان: (رجم).
(2) ابن فارس، المقاييس: (رمي).
(3) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (رمي).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 297.
(5) ابن فارس، المقاييس، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عزل).
(6) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ترك).
(7) ابن فارس، المقاييس، وابن منظور، اللسان: (ترك).

قيل: "ترك المكان"؛ ولذلك أوثِر في هذه الآية لفظُ التَّرك دون الاعتزال؛ لأنَّ موسى عليه السلام دخلَ جوفَ البحر بأمرِ الله ﷻ، ثُمَّ أمرَه اللهُ ﷻ أن يُفارقَ البحرَ وهو على حالهِ التي صار عليها بعد ضربهِ بالعصا[1].

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ترك).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"